دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	علم الشخصية التحليلي النفسي وصلته بعلم النفس الاجتماعي
المصدر:	الموقف الأدبي
الناشر:	اتحاد الكتاب العرب
المؤلف الرئيسي:	فروم، إريك
مؤلفين آخرين:	الهاشمي، محمود منقذ(مترجم)
المجلد/العدد:	ع 147
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1983
الشهر:	تموز
الصفحات:	33 - 53
رقم MD:	263399
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	السلوك الاجتماعي، علم النفس الاجتماعي، التحليل النفسي، الشخصية، جوانب نفسية، الثقافة الجنسية، البرجوازية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/263399

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

علم الشخصيّة التحليلي النفسي وصلته بعلم النفس الاجتماعي

بقلم : إريك فروم

ترجمة : محمود منقذ الهاشمي

كان منطلق التحليل النفسي منطلقاً علاجياً . وكانت الاضطرابات النفسية تُفسَّر بلغة كبح النشاط الجنسي وتحولاته المرضية الى مظهر له أعراضه ، أو كانت تُفسَّر بانها حماية من الأفكار اللبيدية المرهقة غير المسموح بها في وعي الشخص . والسلسلة : اللبيدو ← حماية بوساطة الكبت ← أعراض ، كانت السلك الأرديانى لأبحاث التحليل النفسي الأولى . وكان يرتبط بذلك ان موضوعات الدراسة التحليلية تكاد تكون محصورة بالناس المرضى الذين لمعظمهم أعراض جسدية .

وعندما تطور التحليل النفسي ، وقعت تحت الدراسة كذلك مسألة اخرى : ما اصل الخصائص النفسية الموجودة عند المرضى والأصحاء وما دلالاتها ؟ وشأن الأبحاث الأولية ، اتجهت هذه الدراسات الى كشف الجذور الغريزية ، اللبيدية ، للمواقف النفسية . ولكن السلسلة الآن لم تسر من الكبت الى الأعراض ؛ بل سارت من التصعيد (او التشكل الارتدادي) الى ميزة الشخصية . وهذه الأبحاث أخصبت بالضرورة فهمنا لكلا النمطين المريض والصحيح؛ وأصبحت بالتالي هامة بشكل خاص للمشكلة المدروسة في علم النفس الاجتماعي .

ان الاساس العام لعلم الشخصية التحليلي النفسي هو ان يدرس بضع سمات في الشخصية كالتصعيدات او التشكلات الارتدادية لعدد من الدوافع الغريزية التي هي جنسية طبيعتها — وكلمة « جنسية » تستخدم بالمعنى الموسَّع الذي اضفاه فرويد عليها . ان هذا المنشأ الأصلي للظواهر النفسية من المصادر اللبيدية وتجارب الطفولة الأولى هو المبدأ التحليي الخاص الذي اسهم به علم الشخصية التحليلي النفسي في نظرية العُصاب . ولكن بينما نجد ان الأعراض العصابية (والشخصية العصابية) هي نتيجة تكيف غير مرض من الغرائز مع الواقع الاجتماعي،

فان بميسور المرء ان يتحدث عن ميزة الشخصيةغير العصابية عندما تكون الدوافع اللبيدية قد تحولت نسبياً الى زريبة وسمات اجتماعيةمتكيفة ـ بوساطةالتشكلالارتدادياو التصعيد. وعلى أية حال ، فان الفارق بين الشخصيةالطبيعية والشخصية العصابية فارق مائع ؛ فهو يتوقف بالدرجة الأولى على نسبة الافتقارالى التكيف الاجتماعي .

ومن المهم ان نتذكر ان فرويد قد ربطمشكلة التصعيد على نحو غالب بالدوافع الجنسية ما قبل التناسلية : اي بالنشاطالجنسي الفمي والشرجي ، وبالسادية(١) . والاختلاف بين التشكل الارتدادي والتصعيد هوفي اساسه ان المشكّل يعمل دائماً على مقاومة وقمع الدوافع المكبوت ، الذي يستمد منهنشاطه ، في حين ان التصعيد يمثل تحولا مباشراً ، « شقّ قناة » للدوافع الغريزية .

كانت نظرية الجنس ما قبل التناسلي قد عالجها فرويد اول مرة في كتابه « ثلاث دراسات في نظرية الجنس » . وهي تبدأ من ملاحظة انهحتى قبل ان تلعب الأعضاء التناسلية دوراً حاسماً في حياة الطفل ، فان المناطق الفميةوالشرجية ـ بوصفها « مناطق مثيرة للشهوة » ـ هي بؤر لاهتياجاللذة شبيهة بالأعضاء التناسلية.وفي غضون نمو الطفل تتنازل هذه المناطق المثيرة للشهوة عن جزء من نشاطها للأعضاء التناسلية،بينما تحتفظ منه بنصيب اصغر اما في شكله الأصلي واما في شكل تصعيدات او تشكلاتارتدادية داخل الأنا .

وبناء على هذه الملاحظات حول النشاطالجنسي ما قبل التناسلي ، نشر فرويد مقالة وجيزة حول « الشخصية والشهوة الجنسية الشرجية » ، في ١٩٠٨(٢) ، كونت الأساس لعلم الشخصية التحليلي النفسي . وينطلق فرويدمن ملاحظة ان المرء كثيراً ما يواجه في التحليل نمطاً من الشخصية « يتميز بمجموعة منالسماتالشخصية الخاصة ، على حين ان سلوك الوظيفة الجسمية الخاصة والأعضاء المرتبطة بها تجذبالانتباه اليها في طفولتها »(٣) .

في الأفراد الذين تلعب اللذة فيالتغوط وما ينجم عنها دوراً كبيراً في الطفولة ، يجد فرويد ثلاث سمات شخصية هي : النظام وشدة البخلوالعناد . ويؤكد تأكيداً خاصاً على التعادل بين الغائط والمال (المخ) الموجود في العصاب والعديدمن الأساطير والخرافاتوالأحلام وحكاياتالجن، وتأسيساً على دراسة فرويد الجوهرية ، قدمعدد آخر من كتّاب التحليل النفسي اسهاماتهم في علم الشخصية التحليلي النفسي(٤) . وعلىاية حال ، فثمة مسألة واحدة لم تظهر بوضوح كاف من عدة جوانب في هذه الأعمال ، وهيستخولنا ان نفهم هذه المشكلات فهماً افضل . وأنا أشير هنا الى الفارق بين الهدف الجنسيوالموضع الجنسي ، او بين لذة العضو والعلاقة بالأشياء .

يقيم فرويد صلة وثيقة بين الدوافعالجنسية و « المناطق المثيرة للشهوة »(٥) ، مفترضاً ان الدوافع الجنسية تستدعيها اثارةهذه المناطق المثيرة للشهوة ، ففي المرحلة الأولى

من الحياة تكون المناطق الفمية وما يرتبط بهـامن وظيفتي ــ المص والعض ــ هي مركز النشاط الجنسي . وبعـد مرحلة الرضاعة يتحول هـذاالمركز الى المنطقة الشرجية ووظيفتيها ــ اخراج الفائط واستبقائه ؛ ثم من السنة الثالثـة الىالخامسة ، تكتسب المنطقة التناسلية اهميتها . ويسمي فرويد هـذا الخجل الأول مـن الجنسالتناسلي « طور عبادة القضيب » لأنه يفترض ان القضيب (او البظر الذي يعبـد مـن خلالـهالقضيب) هو وحده الذي يلعب عند كلا الجنسين دوراً في النزعات المتجهـة الى التعـدي القويوالتدمـير . وبعد دور « الكمون » الذي يـدوم تقريباً حتى سن البلوغ ، ينمو الجنس التناسليمصحوباً بالنضـج الجسدي . فيفـدو الكفاح الجنسي ما قبـل التناسـلي خاضعـاً للجنسالتناسلي ومتحـداً به .

ومن المهـم ان نقيـم فارقاً بـين الشهوةالجنسية وعلاقة الشخص بالأشياء . فالأخـيرة هي مواقف المرء (الحب او الكره) من نفسه او الآخرين الذين يقابلهم ؛ وبكلمة ، هي انفعـالاته ومشاعره ومواقفه مـن العالم الذي يحيط بـهعموماً . ولهذه العلاقات نهج نموذجي في النمو . والطفل الرضيع ، هو عند فرويد ، تهيمن عليهالنرجسية ولا يتعلق الا باشباع حاجاتهورغباته. وقرب انتهاء فترة الرضاعة ، تنهض مرحلة ثانيةتتصف بازدياد المواقف السادية والعدوانية من الأشياء ؛ وتلعب هذه المواقف نفسها دوراً هاماًفي طور عبـادة القضيب . ولا تصبـح المواقف الحبية الودودة من الأشياء سائدة الا بنمو اولويةالجنس التناسلي في سن البلوغ .

ان العلاقة بالأشياء تبدو كأن لها صلةوثيقةبالمناطق المثيرة للشهوة . ونستطيع ان نفهم هذه الصلة عندما نرى ان العلاقات الخاصة بالأشياءتنمو مرتبطة بمناطق إثارة شهوة خاصة وان هذه الصلات ليست تصادفية . وعند هذه النقطـةلا أود فعلا ان أطرح السؤال الشامل حول هل الصلة هي وثيقة حقاً بالقدر الذي يريده ادبالتحليل النفسي ، ولا أريد ان ابحث هلتستطيع العلاقة بالشيء ، النموذجية في منطقة خاصـةمثـيرة للشـهوة ، والى اي حـد ، ان تنمـو مستقلة كذلك عن المصير الخاص لتلك المنطقة،ولذلك دعوني أركز على اهميـة اقامـة فارق اساسي بـين لذة العضو والعلاقة بالأشياء .

في المرحلة الأولى من الحياة يكون الدافعالجنسي الأساسي هو الشهوة الجنسية الفمية. ويكون لدى الطفل شعور قوي باللذة والرضىمصحوباصلا بالرضاعة؛ ومن ثم يكون مصحوباً بالعض والمضغ ووضع الأشياء في الفم ، والرغبةفي ابتلاعها . وتكشف الملاحظة القريبة ان هذا ليس بالتحديد تعبيراً عن الجوع ؛ ذلك اننشاطالمص والعض والابتلاع انما هو نشاط لذيـذ بحـد ذاتـه .

ورغم ان الحاجات الفميـة ــ الجنسيةالمباشرة واشباعها تتضاءل بعد فترة الرضاعة، فان آثارها تبقى في قليل او كثير بعد الطفولةوفي سن الرشـد . ولا نحتـاج الا ان نفكر في تمديد هذه العادات من مثل مص الابهام وقضمالأظافر الى الممارسـة « الطبيعيـة » الكاملـة للتقبيل ، والى التدخين ذي الجذور اللبيديةالفمية ــ الجنسيـة .

وبقدر ما تكون الشهوة الجنسية الفمية غير محتفظة بشكلها الأصلي او مقموعة من دوافع جنسية اخرى ، فانها تظهر في التشكلات الارتدادية او التصعيدات . وهنا حسبنا ان نذكر أهم مثال على هذا التصعيد : انتقال لذة رضاعة الطفل الى المجال الفكري . فتحل المعرفة محل لبن الأم ؛ ونحن عموماً نستخدم هذه التعبيرات من نحو « الارتشاف من اثداء الحكمة ». وهذا التعادل الرمزي بين الارتشاف والتلقي الفكري موجود في اللغة وحكايات الجن في العديد من الثقافات بالاضافة الى الأحلام وتداعيات المرضى النفسيين . وبقدر ما تكون التشكلات الارتدادية مثيرة للاهتمام ، فانها قد تظل غير مصعدة كما في النهي عن الأكل ، او تكون مصعدة في النهي عن التعلم والعمل والفضول وما الى ذلك .

والعلاقة بالأشياء التي تظهر في المرحلة الأولى من حياة الطفل معقدة للغاية(٦) . فالطفل اولا موجه بالضرورة ــ والى اقصى حد في الأشهر الثلاثة الأولى من حياته ؛ وليس من فارق بين نفسه والعالم الخارجي ، وتدريجياً تنمو المواقف الحبية والودودة من الأشياء الى جانب هذا الموقف النرجسي(٧) . وموقف الطفل من الأم (او بديل الأم) يصبح موقف مودة ومحبة ؛ والطفل يتوقع الحب والحماية . والأم ضمانة أمنه . وهي بالتأكيد والى درجة كبيرة وسيلة اشباع حاجات الطفل ؛ وحب الطفل هو الى حد كبير مؤلف من الرغبة والأخذ بدلا من العطاء والرعاية . ومع ذلك فان ملامح حب الطفل واهتمامه بالأشياء الأخرى مهمة في هذه المرحلة الأولى(٨) .

وتتبدل علاقة الطفل بالأشياء تدريجياً . فبنمو جسده تنمو حاجاته كذلك . وبسبب من هذا ومن عدد من العوامل الأخرى في بيئته، يواجه الاحباطات المتزايدة في العالم الذي حوله. ويرد الطفل على هذه الاحباطات بغضب وغيظ، ويكون نموه الجسدي قد خلق الشروط التي تسهل هذه الظواهر . والى جانب ذلك وبدلا من توجهه الودود نحو الأشياء الأخرى ، تدخل حياته مشاعر عدائية بحجم كبير . وبشعور الطفل انه اصبح اقوى وبغيظه من الخيبات المتعددة ، لا يعود يثق بالاشباع الحبي لرغباته، التي ما تزال في المقام الأول فمية الصفة . ولا يعود ينتظر ان يأتيه مثل هذا الاشباع ؛ فيحاول ان يأخذ بالقوة ما انكر عليه اخذه . ويصبح فمه واسنانه سلاحاً له. وينمو لديه موقف هجومي، ينظر فيه الى الأشياء نظرة عدوان ، فيود ان يهاجمها ، ان يفترسها ، ان يدمرها . وتحل الصراعات والدوافع السادية ــ العدوانية محل الانسجام النسبي الذي كان يميز في الأصل علاقته بالبيئة المحيطة به(٩) .

وهذه هي اذن العناصر التي تأتي معاً لتشكل سمات الشخصية « الفمية » لدى البالغين : فمن جهة موقف ثقة ومودة من الآخرين ، ورغبة في ان يكون محبوباً ومدللا ؛ ومن جهة اخرى استمرار في النزعات العدوانية الضارية المفعمة بالبغض .

ويضع أبراهام فارقاً في نتائـج دراستهالشخصية بين حالتين مختلفتين من الطفولة . الأولى هي الحالة التي يكونفيها الاشباع الفميعند الطفل سعيداً غير مضطرب . والثانية هي الحالة التي يتمازج فيها الكثير من الاضطراباوالاستياء : كالابعاد الفجائي عن الثدي، واللبن غير الكافي ، او بلغـة العلاقة بالأشياء ، عـدمالحب من جانب الشخص الأمومي . والناس الذين ينشؤون عن حالة الطفولة الأولى ودلالاتهاالسعيدة :

(كانوا يحملون معهم في جل الأحيان قناعةعميقة الجذور بأن الأشياء يجب ان تكون خيراً لهم . انهم يواجهون الحياة بتفاؤل لا يتزعزع،يعينهم دائمـاً على ان يبلغوا بالفعل اهدافهـم العملية . وعلى اية حال ، فحتى هذا يمكن انيكون نموذجا قليل الحظ في التطور . فالعديد من الناس يغمرهم الأمل بأن ثمة خيراً سيحملمعه الشخص ، خيراً هو بديل أمه ، الذي ينال منه بالتأكيد كل ضرورات الحياة. وهذا الايمانالمتفائل بالقدر يحكم على الانسان بالعجز . ومن هؤلاء نرى الذين تدللوا في الطفولـة . فكـلسلوكهم يكشف انهم يتوقعون ان يرتشفوا من ثدي الأم الى الأبـد . وهؤلاء لا يبذلون جهوداًشخصية ، وهم في العديد من الأحوال يزدرون اية فكرة عن الانجاز الشخصي)(١٠) .

وكثيراً ما نلاحظ في هؤلاء الناس سـخاءواضحاً ، شيئا من العادات اللوردية . فمثالهم هو الأم التي تعطي دون تحفظ ، وهم يحاولونان يحتذوا في حياتهم بهـذا المثـال .

والناس الذين ينشؤون عن حالة الطفولةالثانيـة يشيرون الى احباطات فميـة اليمـة عميقة . وهم في الحياة بعد ذلك كثيراً ما تنموليهم الصفات التي تجعلهم يسعون الى سلب الآخرين او امتصاصهم ، انهم يبدون سائرينبساق طويلـة ، يمتصون كـل ما تقـع عليـه ابصارهم . وعندما تتمازج النزعات الساديـةالقوية المتشابهة ، فانهم يطوفون طوافالوحوش حول الغنيمة باحثين عن ضحايا لافتراسها .

(هم في سلوكهم الاجتماعي يطلبـون علىالدوام شيئاً ما لهـم ، سواء بالالتمـاس أم بالأمر . وللطريقـة التي يقدمون بهـا طلباتهـمحركة المص العنيد . لا يمكن ان تردهم الحقائق ولا الاعتراضات العقلية . فهم يواصلون ضغطهموالحاحهم . لكأن ذلك يعني حقـاً انهميتعلقون بالآخرين كالعلقات. وهم بوجهخاص حساسونبازاء ان يكونوا وحـدهم ، ويقـاومون ذلك ، حتى ولو لم يكن قد استغرقغير وقت قصير. ولدى بعض الناس من هذا الطراز ، يأخذ هذا السلوك الذي ذكرناه وجهـاً اشـد قسوة .ولموقفهم من الآخرين شيء من موقف مصاص الدماء منهـم)(١١) .

يدل النمط الأول للشخص على النبـلوالشهامـة ؛ وهو هـادىء مرح اجتمـاعي . والنمط الثاني عدائي تهكمي ، ويستجيببغيظعندما ترفض طلبـاته وهو عميق الحسد لمـن تتحقق له خيراً منه ، والأمر الآخر الذي لاحظهابراهام ذو أهمية خاصة لعلماء الاجتماع : ان

الأشخاص من ذوي التشكل الشخصي الفمي ينفتحون بسرور على الأشياء الجديدة ، « على حين ان الأشخاص من ذوي التشكل الشخصي الشرجي لهم موقف محافظ معاد لكل ابتكار . »).

والشهوة الجنسية الشرجية لا يبدأ دورها الا بعد فترة الشهوة الجنسية الفمية . ومن البداية مباشرة فان التفريغ غير المقيد لفضلات الجسم تصاحبه اثارة لذيذة في العظم الغشائي المخاطي الشرجي عند الطفل . وعلى هذا النحو فان الفضلات المطروحة ـ مظهرها الخارجي ، رائحتها ، احتكاكها بسطح القناة ، واحتكاك اليد بها ـ هي مصدر احاسيس سارة جداً . والطفل فخور بفائطه ، انه « ملكيته » الأولى ، تجسيد انتاجيته الأولى .

ويحدث تغير اساسي بتدرب الطفل على الذهاب الى المرحاض ، وهذا يقتضي النمو التدريجي لوظيفة العضلات العاصرة في المثانة والشرج . وعندما يكيف الطفل نفسه مع المطالب الجديدة لهذا التدريب ، وعندما يتعلم ان يحبس غائطه ثم يدعه يخرج في الوقت المناسب ، يغدو احتفاظه بفائطه وما يصاحب ذلك من عمليات سيكولوجية مصدراً جديداً للذة . وحبه الأصلي لفائطه هو ، الى حد ما ، قد حل محل القرف ؛ الا ان فخره الفطري بفائطه قد ازداد جزئياً بفخر الذين حوله لدى تغوطه العاجل .

وكما هي الحال في الدوافع الفمية الاصلية ، فان قسماً من الدوافع الشرجية يبقى الى حد ما في حياة البالغ . وهذه الحقيقة يمكن تبينها بيسر في ردود الأفعال العاطفية القوية نسبياً من العديد من الناس على الاهانة الشرجية والنكتة الشرجية . ويمكننا كذلك ان نرى آثار الشهوة الجنسية الشرجية الأولى بوضوح في اهتمام الناس بفائطهم ، الذي يظهر خلف انواع كل التبريرات ، على انه من الطبيعي ان جزءاً أساسياً من كفاح الشهوة الشرجية يندمج في التصعيدات والتشكلات الارتدادية .

ويتجه التطور الآخر للشهوة الشرجية الأصلية اتجاهاً ثنائياً : ١ ـ الى الاستمرار الشخصي للوظائف الأصلية ، التي تؤدي الى اللذة او العجز عن الاستبقاء ، التراكم والاخراج ؛ وكذلك الى نمو النظام والدقة والنظافة والبخل ؛ ٢ ـ الى استمرار الحب الأصلي للبراز ، الذي يجد تعبيره في الدرجة الأولى في حب الأملاك ، والدلالة الخاصة مرتبطة بشعور الواجب الذي ينمو خلال هذه المرحلة . والكبح الشرجي وثيق الارتباط بمشكلة « يجب » و « ينبغي » و « لا ينبغي » ؛ وتكشف لنا التجربة السريرية المشاعر الاستثنائية الشديدة حول الاحساس بالواجب التي تعود غالباً الى هذه المرحلة المبكرة .

والعلاقة بالأشياء في المرحلة الشرجية تتصف بالصراع النامي مع العالم المحيط به . والآن ، وفي اول مرة ، تجابه البيئة الطفل بالطلبات ، التي يفرض عليه تنفيذها بالمكافآت والعقوبات ، وستجيب الطفل وفاقاً لها . ويظل ثابتاً على موقفه النرجسي المعتدل ، الذي

يقويه الى حـد ما ضعفه الجسدي المتنـاقص وفخـره النامي بانجـازاته . وثمـة في الوقت نفسه اشتداد ملحوظ في موقفه العنيد السادي العدائي من الآخرين ، ودفاعه الغاضب في وجه كل اعتداء في حياته الخاصة .

وتتحد التصعيدات والتشكلات الارتدادية للشهوة الجنسية الشرجية واستمرار العلاقة بالأشياء التي هي نموذجياً تلازم هذه المرحلة لتشكل سمات الشخصية الشرجية الموصوفة في ادب التحليل النفسي سواء في تجلياتها الطبيعية ام المرضية ، وهنا سوف اشير ببساطة، الى بعض السمات ذات الأهمية الخاصة لعلم النفس الاجتماعي .

ذكرت منذ قليل اول ايجادات فرويد في علم الشخصية : حب النظام الذي غالباً ما يتجاوز الحد المألوف في التعليم ، وشدة البخل الذي يقارب الشح والجشع ، والعناد المشابه للتحدي الوقح . وقد قام فريق من كتّاب التحليل النفسي ومن أبرزهم جونس وابراهام ، باضافة العديد من التفصيلات الى هذه السمات العامة. ويشير ابراهام الى إفراط معين في هذا العناء الأصلي ، (الذي تختبىء تحته المحافظة الأصلية العنيدة على حق تقرير المصير ، حتى تنفجر معبرة عن نفسها بين حين وآخر ، وأنا أفكر هنا بالأطفال والبالغين الذين يظهرون الطيبة والتأدب والطاعة ، ولكنهم يفسرون تمردهم الأساسي العميق بأنه مقموع في حياتهم الأولى)(١٢) .

ويلازم الكبرياء شعورهم بالتفرد الذي كان سبادجر اول من أكده : « كل ما هو ليس أنا قذر » . وهؤلاء لا يسرهم التملك الا اذا لم يكن لسواهم اي شيء مثله . وهم مبالون الى النظر الى كل شيء في الحياة على انه « ملكية » والى ان يصونوا كل شيء « خاص » من الاعتداءات الخارجية . ولا يمتد هذا الموقف الى المال والأملاك وحسب ، بل يمتد كذلك الى البشر ، والمشاعر ، والذكريات ، والتجارب . ان قوة النزعات اللبيدية التحتية ، التي تربط الملكية بالجو الخاص ، من الممكن أن تقاس بغيظهم من اي اعتداء على حياتهم الخاصة ، على «حريتهم». وهذا ينتمي ايضاً الى سمة لاحظها ابراهام :حساسية الشخصية الشرجية بازاء اي اعتداء خارجي ، ليس لأحد ان يتدخل في شؤونهم .

وترتبط بهذه سمة اخرى لاحظها جونس: المحافظة العنيدة على النظام الموروث ، أو الميل الى فرض هذا النظام على الآخرين(١٣) ، وهؤلاء الناس كثيراً ما يبدون سروراً غير عادي في توريث برامج الشعائر وجداولها وطرقها . ومن الأهمية بمكان تلك الحقيقة (التي اكدها ابراهام) بأن الشخصية الشرجية تظهر ميلا لا شعورياً الى النظر الى الوظيفة الشرجية على انها اهم نشاط انتاجي وتفوق بعض الشيء الوظيفة التناسلية. وان جني المال ، وتكديس الأملاك ، وجمع نتف وعيّنات من المعرفة دون تحويلها الى شيء انتاجي- ان كل ذلك تعبير عن هذا الموقف(١٤) .

وفضلا عن تقديرهم العالي للانتاجية الشرجية التكديسية ثمة احترام متميز كبير للأملاك والأشياء المكدسة ، وكما يلاحظ ابراهام:

(في الأحوال الملحوظة للتشكل الشرجي الشخصي ، تكاد كل علاقات الحياة تدرس بلغة الامتلاك (المحافظة) والاعطاء : أي بلغة الممتلكات. وكأن شعار العديد من هؤلاء الناس هو : « من يعطني شيئاً هو صديقي ؛ ومن يطلب الي شيئاً هو عدوي »(١٥) .

والواقع انه لا فرق لديهم في علاقات الحب. فالناس من ذوي الشخصية الشرجية يتميزون بأن الحاجة التناسلية والاشباع التناسلي عندهم مقيدان على نحو يزيد وينقص. وكثيراً ما يتصاحب هذا التقييد بالتبريرات الأخلاقية او القلق . وبالقدر الذي لا يلعب الحب فيه دوراً ، فانه يأخذ شكلا نمطياً . فالمرأة ليست محبوبة ، وانما هي «مملوكة» . والشعور الانفعالي نحو موضوع « الحب » هو ذلك الشعور نحو الأشياء المملوكة الأخرى : أي ، ثمة نزعة الى التملك والحصرية قدر الامكان .

والموقف الأول (التملك قدر الامكان) يظهر في نمط الشخصية الذي يبدو قادراً على الحب، ولكن حبه ليس اساساً غير شكل آخر من عاطفة الجمع . ومن الأمثلة الخاصة على الموقف الأول مثال زبون كان يتردد على عيادتي ، وكان لديه دفتر صغير ألصق عليه كل الأمور التذكارية عن لقاءاته بالنساء ـ وكان فيها العديد من : البرامج المسرحية ، والتذاكر المستعملة ، والرسائل ، وما الى ذلك . والموقف الثاني (التملك الحصري قدر الامكان) نجده في نمط الشخصية المتطرف الغيرة والمستغرق في « الاخلاص » .

ووثيق الصلة بهذا الموقف هو الحسد الشديد الذي نجده في العديد من الناس من ذوي الشخصية الشرجية . فهم يستنفذون طاقتهم ، لا في النشاط الانتاجي ، بل في حسد الآخرين على انجازاتهم (وقبل كل شيء) على املاكهم . وهذا يفضي بنا ثانية الى احدى خصائص الشخصية الشرجية الهامة سريرياً وسوسيولوجياً : وهي علاقتهم الخاصة بالمال ، وفوق ذلك ، بخلهم الشديد وشحهم . وهذه السمة الخاصة أبرزتها بشكل واسع تجارب التحليل النفسي ، وعولجت معالجة موسعة في الأدب الوثيق الصلة بها(١٦) .

ولا يرتبط البخل الشديد والجشع بالمال والقيم المالية فقط . فالزمن والطاقة يعاملان معاملة مماثلة ، وهؤلاء الناس يمقتون ان يبددوا أياً منهما(١٧) . ولا قيمة لكون هذه النزعات التشرجية خاضعة للتبريرات الشاملة . والاعتبارات الاقتصادية ، ولا شك ، هي الأولى في التبريرات . وجدير بالملاحظة كذلك انه الى جانب الارتباط القوي بالنظافة، والبخل الشديد، والنظام ، والدقة ، فاننا كثيراً ما نرى خرقا لهذه التشكلات الارتدادية . وأخيراً ، فلصلتها الوثيقة بعلم النفس الاجتماعي ، علينا ان نذكر اشارة ابراهام الى الحاجة المتميزة عند الشخصية الشرجية الى التناسق و « الميزان المضبوط » .

ومن حيث المبدأ ، فان للجنسية التناسلية دلالة في تشكل الشخصية تختلف عن دلالة الجنسية الفمية او الشرجية . فبينما لا يبقى غير قدر قليل نسبيا من الجنسية الفمية او

الشرجية بعـد فترة الطفولة الأولى في شكلـه المباشر ، ويطبق بشكل رئيسي على التصعيدات والتشكلات الارتدادية في الحياة التي تلي تلك الفترة ، فان غرض الجنسية التناسلية هو في المقام الأول المحافظة على التفريغ الفيزيولوجي المباشر . واذا كان من البسيط وصف الهدف الجنسي للجنسية التناسلي ، فانه يصعب قول اي شيء عـن السـمات المميـزة للشخصيـة التناسلية . ولا ريب انه صحيح ان « العلاقـة بالأشياء » الملازمـة للشخصية التناسليـة هي علاقة ودية ومتحررة نسبياً من الازدواجية(١٨). ولكن علينـا ألا ننسى ان الجنس الطبيعي مـن الناحية الفيزيولوجية لا يقتضي بالضرورة موقف الحب المنسجم نفسيـاً . فمـن وجهـة النظر السيكولوجية ، قد تسوده التجارب النرجسية او السادية .

ولو عـدنا الى التشكلات الارتدادية الهامة لعلم الشخصية ، فان تشكل الارادة يبدو أول تشكل ارتدادي هام . وبقدر ما هي التشكلات الارتـدادية مثـيرة للاهتمام ، فانني ارى مـن الضروري التمييز بين النشاط الجنسي الأنثوي والنشـاط الجنسي الذكـري . (وعلى المرء ألا ينسى ان الدوافع الأنثوية والذكرية موجودة في كـل فرد)(١٩) .

اننـا ما نزال لا نعلم سوى القليـل عـن تصعيداتها . ولعلنـا نخمن ان تصعيد النشاط الجنسي الذكري يتجه غالبا الى الجهد الفكري ، والابـداع ، والتأليف ، على حـين ان تصعيد النشاط الجنسي الأنثوي يتجه الى الاستيعاب ، والوقاية ، والانتاج ، واظهـار الحب الأمومي غير المشروط(٢٠) .

لقد رسمنا بايجاز النظرية التحليلية النفسية المتعلقة بنمـو الجنس والعلاقة بالأشياء . وهـو ما يزال رسما بيانيا تقريبيا وافتراضيا في عدد من النقاط . وبمزيد من البحث التحليلي سوف نبدل بعض النقاط ونقدم نقاطاً جديدة اخرى . ولكنه منطلق يمكننا مـن فهم الأساس الغريزي لسمات الشخصية ، ويفتـح السـبيل امامنـا لتفسير نمـو الشخصيـة .

وهـذا النمو مشروط بعاملـين يعمـلان في اتجاهين مختلفين . الأول هو النضج الجسدي في الفرد . وهذا يعني أولا وقبل كل شيء ، نمو النشاط الجنسي التناسلي والدور الفيزيولوجي المتناقص للمناطق الفمية والشرجية ، وهو يعني كذلك نضج الشخصية بكاملها وما يصاحب ذلك من نقص في العجز ، يمكّن الشخص من تنميـة موقف المودة والحب من الآخرين .

والعامل الآخر الذي يسـهم في عملية نمو الفرد يؤثر في الفرد من الخارج . انه يتألف من القواعـد الاجتماعية ، وينتقـل بحيوية عبـر العملية التربويـة ، التي تستلزم كبت الكفـاح الجنسي ما قبل التناسلي الى حد بعيد وتيسر التقدم للنشاط الجنسي التناسلي .

وعلى اية حال ، فكثيراً ما يكون هذا التقدم غير كامل . وكذلك فان المناطق ما قبل التناسلية تظل في شكل التصعيد المباشر قوية الى حد كبير . وثمة سببان قد يجعلان المطامح ما قبل التناسلية

تبقى قوية جداً : ١ ـ التثبيت ـ فبسبب الاشباع القوي او الرفض الشديد اللذين يختبران في الطفولة ، فان الرغائب ما قبل التناسلية تقاوم عملية النضج وتحافظ على قوتها ؛ ٢ ـ النكوص ـ فبعد ان تنتهي العملية الطبيعية للنمو ، فان الاحباط الداخلي او الخارجي القاسي يؤدي بالشخص الى الارتداد عن الحب والتناسل الى المراحل ما قبل التناسلية في النظام الليبيدي . والواقع ان التثبيت والنكوص يعملان معا في انتظام . والتثبيت يمثل نزعة من الممكن بسهولة وفي ظل ظروف معينة ان تسبب النكوص الى المرحلة الغريزية التثبيتية .

وبالاشارة الى الأساس الليبيدي لسمات الشخصية ، فان علم الشخصية التحليلي النفسي يمكن ان يساعد الباحث على تفسير الوظيفة الدينامية لهذه السمات بوصفها قوى انتاجية في المجتمع . ومن جهة اخرى ، فهي قد تكون منطقاً لعلم النفس الاجتماعي الذي سيكشف كيف تكون السمات الشخصية المشتركة في معظم اعضاء المجتمع مشروطة بالطبيعة المميزة لذلك المجتمع .

وهذا التأثير الاجتماعي في تشكل الشخصية يفعل فعله أولا وقبل كل شيء في الأسرة ؛ فهي الوسيط الرئيسي الذي من خلاله يتوجه التشكل النفسي للطفل نحو المجتمع المحيط به . وكفاح الطفل ما قبل التناسلي مكبوح او مشتد بطريقة ما والى حد ما، والطريقة التي تثار بها التصعيدات او التشكلات الارتدادية ، تعتمد اساسا على العملية التربوية ـ بوصفها تعبيراً عن البنية النفسية للمجتمع عموماً .

على ان تأثير المجتمع في التشكل الارتدادي للشخصية يمتد الى ما بعد الطفولة . فسمات شخصية معينة هي الأنفع ـ وتفعل الكثير لتقدم الفرد ـ ضمن بنية اقتصادية او اجتماعية او طبقية معينة . ففي هذه السمات شيء يمكننا ان نسميه « المكافأة الاجتماعية » ؛ وهو يعمل على تأمين تكيف الشخصية الفردية مع ما يعد « طبيعيا » و « صحيا » داخل بنية اجتماعية معينة(٢١) . فنمو الشخص ، اذن ، يقتضي تكيف البنية الليبيدية مع بنية اجتماعية معينة ـ اولا من خلال وسيط الأسرة ، ومن ثم عبر الاحتكاك المباشر بالحياة الاجتماعية .

هنا تلعب أخلاق المجتمع الجنسية دورا متميزا جدا. وكما اشرنا، فان الجانب الرئيسي لكفاح الفرد ما قبل التناسلي يتلاشى في النشاط الجنسي التناسلي . والى الحد الذي تقيد فيه الأخلاق الجنسية لمجتمع معين الاشباع التناسلي، تقوى الدوافع ما قبل التناسلية او السمات الشخصية الملازمة لها . وعندما يقف الضغط محظرا الاشباع التناسلي ، يرتد الليبيدو الى المناطق الفمية والشرجية في حياة المجتمع .

وما دامت سمات الشخصية ثابتة في البنية الليبيدية ، فانها تظل زربية نسبيا . ومن المؤكد انها تنمو بتكيفها مع بنية اقتصادية واجتماعية معينة ، ولكنها لا تختفي بالسرعة التي تتبدل فيها

هـذه البنى والعلاقات . فالبنية اللبيدية التي تنشأ عنها هذه السمات الشخصية، لها كل ما؛ فالفترة الطويلـة مـن التكيف مـع الشـروط الاقتصادية الجديدة مطلوبة قبل ان نحصل على التغير الموافـق في البنيـة اللبيـدية والسمات الشخصية الناتجة عنها . وهذا هو السبب في ان البنية الفوقية الايديولوجية ، القائمـة على السمات الشخصية النموذجية في مجتمع معين ، تتغير ببطء . أشد من تغير الأساس الاقتصادي.

وعنـد هذه النقطة سأحاول ان اطبـق اكتشافات علم الشخصية التحليلي النفسي على مشكلة سوسيولوجية ملموسة . والمقصود مـن ملاحظاتي ان تكون ايضاحا للسبيل الذي ستسير عليه هذه المسائل ، لا ان تكون اجابة قاطعة حول المشكلة المطروحة .

تبدو مشكلة « روح » الرأسماليـة ـ اي الأساس النفسي لها ـ مثالا مناسبا بوجه خاص لسببين . أولا ، لأن اوثق جوانب علم الشخصية التحليلي النفسي صلة بفهـم الروح البرجوازية ـ نظرية الشخصية الشرجية ـ هو اشد جوانب علم الشخصية التحليلي النفسي تطورا . ثانياً ، لأن ثمة ادباً سوسيولوجياً واسعا مرتبطا بهـذه المشكلة ، مما يجعل التمهيد لوجهة نظر جديدة يبدو متسلسلا .

ماذا اعني بـ « روح » الرأسـماليـة (أو المجتمع البرجوازي) ؟ انني اعني الخلاصة الكلية للسمات الشخصية النموذجيـة في اناس هـذا المجتمع ـ والتأكيد هو على الوظيفة الدينامية للشخصيـة . وانـا اسـتخدم هنـا مصطلـح « الشخصية » بمعنى واسع جدا وعلى العموم فان في وسعي ان استخدم تعريف « زومبارت » لـ « روح » نظام اقتصادي . انه يعرفها بانهـا « الخلاصة الكلية للخصائص النفسية المرتبطـة بالنشاط الاقتصادي . وهذا يشمل كل تعابير الحياة الفكرية وكل السمات الشخصية المتمثلـة في المشاريع الاقتصادية ، بالاضافـة الى كـل الأهداف وأحكام القيمة والمبادىء التي تؤثر في سـلوك النـاس المشاركـين في هـذا النشـاط وتنظمـه »(٢٢) .

وبقدر ما انا مهتم بروح المجتمع او الطبقة، فان تعريفي يتجاوز الروح الوثيقة الصلة بالنشاط الاقتصادي ولكنه ينطبق على السمات الجنسية للفرد في طبقة او مجتمع معينين، هما في النتيجة نفسهما ، سواء أكانا مسألة نشاط اقتصادي ام لا . وفضلا عن ذلك، فانني خلافاً لـ «زومبارت» لست مهتمـاً بالدرجة الأولى بـ « المبـادىء »و « احكام القيمة » بل بسمات الشخصية التي هي راسخة الجذور فيها .

اننا لن نبحث في مشكلة العلاقة بين الروح البـرجـوازيـة والبـروتسـتانتيـة الطـوائف البروتستانتية . فهذه المشكلة بالغة التعقيد الى حد ان بضـع ملاحظات عابرة ستفضي بنـا الى الابتعـاد عـن الموضوع . وللسبب نفسـه لـن نستكشف الجذور الاقتصادية للمجتمع الرأسمالي.

وهذا جائز منهجيا ما دمنا في هذا المجال لا نحاول الا ان نصف الشخصية المميزة للمجتمع وان ندرس كيف تكون هذه الشخصية ـ وهي مظهر بنية لبيدية خاصة ـ قوة انتاجية تشارك في تشكيل تطور المجتمع. وعلى البحث السيكولوجي ـ الاجتماعي الكامل ان يبدأ بوصف الوقائع الاقتصادية وان يكشف كيف تكيفت البنية اللبيدية مع هذه الوقائع .

آخيرا ، سوف نهمل مسالة اخرى معقدة ومثيرة للنقاش وذات طبيعة تاريخية : عند اية نقطة في التاريخ يمكننا حقا ان نبدأ الحديث عن الرأسمالية والروح البرجوازية ـ الراسمالية ؟ اننا سوف نبدأ من الافتراض بأن هذه الروح قد وجدت وان لها بعض السمات المنتظمة ـ سواء اقابلناها او لا في فلورنسا القرن الخامس عشر (كما يدعي زومبارت) ، او في انكلترا القرن السابع عشر ، لدى ديفو، او بنجامين فرانكلين، او لدى أندرو كارنيجي ، والتاجر النموذجي في القرن التاسع عشر(٢٣) .

ويمكن ان توصف الطبيعة المميزة لروح البرجوازية ـ الرأسمالية على نحو ايسر بطريقة سلبية، اي بملاحظة الملامح الخاصة لروح ما قبل الرأسمالية (كروح العصور الوسطى مثلا) التي لم تعد موجودة . فنيل السرور والبهجة من الحياة لم يعد الهدف الذي تسلم به النفس البرجوازية ، ولم يعد الغرض البديهي الذي يسعى الى تأديته ـ النشاط المتعدد ، ولا سيما النشاط الاقتصادي . وهذا يصيب الحقيقة سواء أكنا نتحدث عن المسرات الدنيوية التي تبتهج بها الطبقة الاقطاعية في العصور الوسطى، « البركة » التي وعدت الكنيسة بها الجماهير ، ام المتعة التي ينالها الشخص من الأعياد الفخمة، والرسوم الجميلة ، والمباني الباهرة ، والعدد الكبير من ايام الولائم . وكان واضحا انه كان للانسان حق فطري في السعادة ، او البركة ، او اللذة ؛ وكان هذا يظهر هدفا مناسبا لكل نشاط انساني ، سواء أكان اقتصاديا ام لا .

وقدمت الروح البرجوازية تغيراً حاسما في هذه النقطة . فالسعادة او البركة لم تعودا هدف الحياة الذي لا يناقش. واحتل شيء آخر المكانة الأولى في ميزان القيم : الواجب . ويرى كراوس هذا واحدا من اهم الفروق بين الموقف السكولاستي والموقف الكالفيني : « ان الشيء الذي يميز بدقة روح العمل عند كالفين عن روح العمل في العهد السكولاستي هو تحول الأولى عن التوجه الى الهدف وتأكيدها على الطاعة الشكلية لأوامر الفرد في الحياة . ولم تعد المادة التي يؤثر فيها الشخص تقيم اي فارق . فكان التأديب الحديدي مطلوباً لاحداث مشاعر عميقة من الطاعة والواجب(٢٤) » . وعلى الرغم من ان كراوس قد خالف ماكس ڤيبر عدة مرات ، فانه قد أيده في هذه النقطة : « لا ريب أن ڤيبر كان على حق عندما لاحظ ان الكنيسة القديمة والعصور الوسطى لم تعرف أبداً الفكرة العامة بأن تأدية الواجب خلال العمل الدنيوي انما هي ارفع شكل من اشكال الآلية الأخلاقية(٢٥) » .ان تقدير الواجب (بدلا من السعادة أو البركة) بوصفه ارفع القيم قد انطلق من الكالفينية الى أسلم الفكر البرجوازي بكامله ـ سواء في التبريرات اللاهوتية ام سواها .

وحـدث تغير آخر عنـدما اصبحت فكرةالواجب مركزيـة . فلم يعـد الناس منهمكـين بالنشاط الاقتصـادي للمحافظـة على الرزقالمناسب التقليـدي ، بل اصبح كسب الأمـلاك والمحافظة عليها بحـد ذاتها معيارين أخلاقيـينبقطع النظر عما اذا كانالمرء ينعم بما كسب أم لا. وفي الأدب الوثيق الصلة بهذا الموضوع اشاراتعديدة الى هذه الحقيقة ولن نحتاج الا الى عرض بعض الأمثلـة الموحيـة .

يذكر زومبارت « الكتب العائلية » لأسـرةالبرتي بوصفها مثالا أخاذاً على القيمـة الجديدة القائمة على الاحتفاظ والتوفير ، وهـذه بعضالشواهـد :

(تجنب الانفاق الزائد كما تتجنب الوباء .

فأي انفاق غير ضروري كل الضرورة جنون .

كما ان الاقتصاد خـير وجدير بالثناء ، فالانفـاق المبـذر مقيت .

الاقتصاد لا يؤذي احـدا ، وهو عـون للأسـرة .

الاقتصـاد نعمـة .

أتعرف نموذج الناس الذين افضلهم ؟ انهمالذين لا ينفقون المال الا على ما هو ضروري ، ويحتفظون بالفائض ، اولئك ادعوهم ارباب بيوت اقتصاديـين)(٢٦) .

والبرتي ينصح كذلك بالتوفير في استخدامالمرء لطاقتـه :

(على زريتسيا المثالى ان يقتصد في استخدام ثـلاثـة اشـياء لنـا هـي : ١) **روحنـا** ، ٢) **جسـدنا** ، وفوق ذلك ، ٣) **وقتنـا** .

وانا لأتفادى التبذير بهذه السلعة الغالية ،الوقت ، اتبع القاعدة التالية :

لن استسلم للكسل ، سوف اتجنب النوم حتى يغلبني النعـاس مـن شـدة التعب ...

وهكذا اتفادى الكسل والنوم بوضع مهمةلنفسي . فانا لأنجز ما علي انجازه اتناول جدول الوقت عنـدما اصحو مـن النـوم في الصـباحواخطط لليوم .

اخصص وقتاً لكل شيء عليّ عمله، اخططللصباح وما بعد الظهيرة والمساء . وهكذا احافظ على اموري منتظمة دون ايـة صعوبة ... وفيالمساء قبـل ان اذهب الى السرير اراجع كـل ما فعلته في النهار .. فخير لنـا ان نضيع النوممن ان نضيع الزمن)(٢٧) .

وهذه الروح نفسها تغمر الأخلاق البيوريتانية(٢٨) ، تغمر قواعـد السلوك عنـد بنجامـين فرانكلين ، وتصرفات مواطن القرن التاسععشر.

وترتبط بهذا الموقف من الملكية ارتباطاً وثيقا سمة اخرى تتميز بها الروح البرجوازية: الأهمية المتعلقة بالمجال الخاص . وبغض النظرعن مضمون المجال الخاص ، الذي قد يكون ماديا أو نفسياً ، فانه شيء مقدس ؛ وأي اعتداء على هذا المجال انما هو اساءة رئيسية . (ان ردود الأفعال البالغة الشدة على الاشتراكية ، التي توجد حتى بين العديد ممن ليس لديهم ملكيات، يمكن ان تفسر الى حد بعيد بأنها تمثل تهديداللمجال الخاص) .

أي نوع من العلاقات بالآخرين تتميز به « روح » الرأسمالية البرجوازية ؟ ان اشد ما يلفت النظر هو تقييد اللذة الجنسية الذي فرضته الأخلاق البرجوازية الجنسية . ولنكن على ثقة بأن الأخلاق الكاثوليكية ليست في صالح هذه اللذة أبدا ، ولكن ما من شك ان سلوك العالم البرجوازي ـ البروتستانتي كان لدى الممارسة مختلفا كل الاختلاف عن العام ما قبل البرجوازي . فشعور انسان من مثل بنجامين فرانكلين لا يعكس المعيار الأخلاقي وحسب بل الممارسة البرجوازية كذلك . ففي معالجته للفضائل قال في الطهارة (النقطة ١٢) : « اياك ان تلتذ بمسرات الجسد الا من اجل الصحة او الذرية . اياك أن تستخدمها الى حد الانهاك والضعف ، او لإيذاء أمن أي انسان وطمأنينته »(٢٩) .

ان تخفيض اللذة الجنسية ينسجم مع جعل كل العلاقات الانسانية مادية في المجتمع البرجوازي، وعلاقات الحب ، بوجه خاص ، كانت خاضعة عموماً للاعتبارات الاقتصادية . والى جانب هذا التحويل المادي ، كان عدم اكتراث المرء بمصير رفيقه من خصائص العلاقات في العالم البرجوازي. وهذا لا يعني القول بأنه لم تكن هناك قسوة اوكانت هناك قسوة يسيرة في الفترة ما قبل الرأسمالية . فالمسألة هي أن لعدم الاكتراث البرجوازي فارقاً دقيقا وطابعا مميزاً : فلم يكن ثمة اثر للمسؤولية الفردية نحو الآخرين(٣٠) ،ولا ذرة من حب المرء لرفاقه بحد ذاتهم دون ان يكون مرتبطاً بأية شروط .

ويمدنا ديفو بتعبير كلاسي عن عدم الاكتراث البرجوازي هذا . انه يصف الفقراء بانهم « سوقة عديمو النفع منتحبون ، وهم عبء كريه على الأمة ، ويتطلبون قوانين خاصة »(٣١) . وكما نعلم ، فان الرأسمالية كانت تقوم فعلا على هذه النظرة ، ولا سيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وحتى ١٩١١ كان اتحاد شركات التبغ الأمريكي متهما بان له المواقف نفسه : « في مجال التنافس ، كان البشر يرمون بلا رحمة »(٣٢) . وتمدنا حيوات العديد من زعماء الصناعة الأمريكيين في القرن التاسع عشر بالايضاحات الوافرة .

وفي الوعي البرجوازي ، لم يكن هذا الافتقار الكلي الى الحنان يبدو غير اخلاقي البتة. بل على العكس كان مثبتاً في بعض المفاهيم الدينية او الأخلاقية. وبدلا من البركة المضمونة لأولئك الذين كانوا الأبناء المخلصين للكنيسة ؛ فان السعادة في المفهوم البرجوازي كانت هي

المكافأة على قيام المرء بواجبـــه . وتدعمت هـــذه الفكرة بالمفهوم القائل بأنه ليس في النظام الرأسمالي حدود للنجاح الذي يمكن ان يحرزه الفرد المقتدر.

وانعدام الحنـــو في الشخصية البرجوازية يمثل تكيفاً ضرورياً مع البنية الاقتصادية في النظام الرأسمالي . فقـــد تطلب مبـــدأ التنافس الحر وفكرة البقاء للأصلح الملازمة له الأفراد الذين لم يكن الحنـــو يكبحهم في تعاملهـــم مـــع الآخرين ، فأولئك الذين كان لديهم أقـــل قدر مـــن الحنان كانت لديهم اكبر فرصة للنجاح .

أخـــيراً ، علينا ان نذكر سمة اخرى اكدت اهميتها مجموعة كبيرة مـــن الكتاب : العقلانيـــة ، مبدأ الحساب والهدف . ويبدو لي ان العقلانية البرجوازية ، التي لم تكن لها اية علاقـــة بارفع اشكال النشاط الفكري ، تنسجم الى حد بعيد مع المفهوم السيكولوجي لـ « النظام » الذي قمنا بوصفه . وتمـــدنا « السيرة الذاتية » لفرانكلين بأمثلة نموذجيـــة على « النظـــام » والعقـــلانيـــة البرجوازيين المميزين(٣٣) .

وباختصار ، فان السمات الرئيسية للروح البرجوازية ــ الرأسمالية التي تبينـــاها هي : ١) تقييد دور اللذة بوصفها غاية بحد ذاتها (ولاسيما اللذة الجنسية)؛ ٢) الارتداد عن الحب ، والتأكيد بـــدلا مـــن ذلك على الجمـــع والتملك والاحتفاظ بوصفها غايات بحد ذاتها ؛ ٣) تأدية المرء واجبه بوصفها اسمى القيم ؛ ٤) التأكيـــد على « النظام » ومنع الحنان مـــن المرء لرفيقه .

فلو قارنا ســـمات الشخصية هـــذه مـــع السمات النموذجية للشخصية الشرجية الموصوفة آنفاً ، لأمكننا بيسر ان نرى ثمة ظلاً من التوافق والانسجام . واذا كان هذا التوافق حقيقيـــاً ، فسنجد ما يسوغ لنـــا القول بأن النيـــة البيدية النموذجية للانسان البرجوازي تتميز باشتداد البيدو الشرجي. والدراسة الشاملة ستقدم لنا وصفاً تحليلياً نفسيا كاملا لسمات الشخصيـــة البرجوازية ــ الرأسماليـــة . وستكشف كـــذلك كيف والى اي حد نمت هذه السمات متكيفة مع مطالب البنية الاقتصادية الرأسمالية والى اي حـــد ، من جانب آخر ، كانت الشهوة الجنسية الشرجية التابعة لها قوة انتاجية في نمو الاقتصاد الرأسمالي(٣٤) .

وكما اشرت آنفا ، فان هذا البحث لا يعالج مسألة متى نؤرخ لبـــداية الرأسماليـــة والروح الرأسمالية . ولكن لكي نتجنب شيئا من سوء التفاهم الخطير ، علينا ان نمنح جانبا من تفكيرنا لظاهر التطور في الرأسمالية الاحتكارية . ومـــن الواضح ان السمات النموذجيـــة للبرجوازي في القرن التاسع عشـــر تلاشت تدريجيـــا ، اي ان النموذج الكلاسي للمقـــاول العصامي المستقل ، الذي هو المالك ومدير عملـــه في الوقت نفسه ، اخذ في الزوال . واصبحت السمات الشخصية لرجل الأعمال الســـابق تعيـــق النموذج الجديد للرأسمالي مـــن الاســـتفادة . ووصف الـــروح الجديدة في الرأسمالية الحاضرة وتحليلها مهمة اخرى يجب ان يتولاهـــا علم النفس الاجتمـــاعي التحليلي النفسي .

وعلى اية حال، ففي طبقةاجتماعيةواحدة،استمرت سمات الشخصيـة السابقـة : اي في الطبقة الوسطى الدنيا . وفي البلاد الرأسماليةالمتقدمة كألمانيـا ، ليس لهذه الطبقة من قـوة اقتصادية وسياسية ؛ ورغم ذلك فهي ما تزال تؤدي مهمتها بالأشكال العتيقة للعهد الرأسمالي السابق (القرن الثامن عشر الى التاسع عشر) . ونجد في البرجوازية الصغيرة اليوم تلك السمات الشخصيـة الشرجيـة المنسوبـة الـى الروحالرأسمالية السابقـة(٣٥) .

وتبدو الطبقة العاملة متسمة بهذه السماتالشخصية الشرجية بدرجة اقل بكثير من الطبقة الوسطى الدنيـا(٣٦) . وهـذا الفـارق الخاصنستطيع ان نفهمه بيسر اذا راينا ان مكانة العامل في عملية الانتاج هي التي تجعـل هذه السماتميتة(٣٧) . والمسألة الأشد صعوبة هي : لماذا ما يزال اعضاء كل مـن البروليتاريا والطبقـةالوسطى الدنيا ، الذين ليس لديهم رأسمال ولا احتفاظات يتحدثون عنها ، يتسمون بالسمات البرجوازية الشرجيـة والايديولوجية المنسجمـة معها ؟ يبدو لي ان السبب الحاسم ان البنيـةاللبيدية التي هي تحت هذه السمات مشروطة بالأسرة والعوامل الثقافية التقليدية الأخرى . وهكذا فهي لها وزنها ، وهي تتبدل بشكل أبطـأ من تبدل الشروط الاقتصادية التي تكيفت معهاسابقـاً .

ما دلالة هذا النوع من علم النفسالاجتماعيوما أهميته لعلم الاجتماع ؟ ان قيمته الاولىتكمن في انه يمكننا من فهم القوى اللبيدية التي تجـدتعبيرها في الشخصية ، في دورها الذي تقوم به لدفع (او لمنع) التطور الاجتماعي للمجتمع وقواهالانتاجية . وبذلك يصبح من الممكن اعطاء معنى علمي صحيح ملموس لفكرة ((روح)) عهد مـن العهـود . فاذا فهمت فكرة ((روح)) المجتمـع بهذه المصطلحات ، بطـل العديد مـن الخلافاتالموجودة في الأدب السوسيولوجي . لأن العديد من هذه الخلافات ينشأ من ان فكرة ((الروح))ترجع الى الايديولوجيا ، بدلا مـن ان ترجع الى السمات الشخصية التي قـد تجـد تعبيرها فيصياغات مختلفة متنوعة الى حد كبير وحتى في الايديولوجيات المتعارضة . وتطبيـق التحليـلالنفسي لن يوفر لعلماء الاجتماع وجهات النظر المفيدة في دراستهم لهذه المسائل وحسب ؛ بلانه كذلك سيحول دون الاستخدام غير النقـدي للمقولات السيكولوجية الزائفة(٣٨) .

□ ■ □

الحـواشـي :

★ يشـكل « علـم الشخصيـة » Characterology و « علم الأنماط الشخصية » Typology مادة لا غنى عنها لكل ناقد أدبي يسـعى الى الدراسـة المتعمقـة للشخصيـات القصصية (في الرواية والمسرحية والقصص القصيرة وسواها) او لحياة الأدباء • وهذه الدراسة « علم الشخصية التحليلي النفسـي وصلتـه بعلـم النفـس الاجتمـاعـي » هي من الدراسات Psychoanalytic Characterology and Its Relevence for Social Psychology المبكرة الهامة التي كتبها فروم ، والتي كانت الأساس النظري لتنقيحاته لنظرية التحليل النفسي • درس فروم علم النفس وعلم الاجتماع في جامعات هايدلبرغ وفرانكفورت وميونخ ،وتدرب على التحليل النفسي في معهد برلين للتحليل النفسي• ومنذ ١٩٢٦ نذر نفسه لعلم النفس الاختبـاري والدراسـات النظريـة • وكـان أستاذا في عـدد من الجامعات كجامعـة ييل وكولومبيا وبنيفتون والجامعة الوطنية المستقلة في المكسيك •من كتبه العديدة : « الهرب من الحرية » ، « المجتمع السوي »، « الانسان نفسه » ، « اللغة المنسية » ، « بوذية زن والتحليل النفسي » ، « ازمة التحليل النفسي » ، « تشريح التدميريـة البشرية » ••• الخ • (المترجم)

١ ـ بالتالي يسيء المرء كثيرا فهم وجهة النظر الفرويديـة عندما يساوي بين مشكلة التصعيد ومشكلة التقشف الجنسي التناسلي • وهذا ما فعله مثلا شيلر Scheler في Wesen und Formen der Sympathie, Bonn, 1923,pp. 238 ff

٢ ـ Ges. Schriften, V, 260 ff .

٣ ـ Ibid., p. 261 ..

٤ ـ انظر الملاحظـات النيّـرة والبيليوغرافيـا الواسـعة في Otto Fenichel, Perversionen, Psychosen, Charakterstorungen : Psychoanalytische Spezielle Neurosenlehre, Vienna, 1931.

٥ ـ من السهل ان نرى لماذا كان فرويد ينسب الى المناطق المثيرة للشهوة الدور الرئيسي • هذا الافتراض لم ينشـأ ببساطة عن الملاحظات التجريبية وحسب بل كذلك عن المقدمـات النظريـة ، التي كـانت افتراضات وجهـة النظـر السيكولوجية الميكانيكية • فقد كان لها دور حاسـم في تشكيل نظرية التحليل النفسي • وأي بحث مثمر لفرضيات التحليل النفسي المتنوعة يجب أن يبدأ بنقد الدور الرئيسي الممنوح للمناطق المثيرة للشهوة الجنسية • ونحـن ان نقوم بهذا النقد هنا ما دام غرضنا هو تقديم اكتشافات التحليل النفسي • ولكنه مسألة هامة •

٦ ـ انظر : Bernfeld, Psychologie des Säuglings, Vienna, 1925

٧ ـ في ادب التحليل النفسي يقع الضغط على الموقف النرجسي للطفل الصغير ، على حين أن موقفه الودي من الأشـياء لا يُمنح غير غفران قصير • ولن أبحث هنا في هـذه المشكلة الهامة الا الاشارة الى وجود مثل هذه السمات الودية مع السمات السادية المفعمة بالكره •

٨ ـ يجب ان يكون واضحا اننا في عملية النمو الانساني الشامل لا نستطيع أن نتحدث الا عن تزايـد أو تناقص النزعـات المتنوعة ، لا عن التناوب الواضـح للأنماط البنيويـة المنفصلة بحدة •

٩ ـ لا يمكننا هنا ان نبحث في مسائل من نحو الى أي حد تكون ارادة افتراس الأشـياء وتملّك الأشياء نزعات بدائيـة عند الانسان في علاقته بالبيئة •

١٠- Karl Abraham, Psychoanalytische Studienzur Charakterbildung, Vienna, 1925, p. 42.

١١- Ibid., p. 44 .

١٢- Ibid., p. 9 .

١٣- احدى الأمهات تنظم برنامجا مكتوبا تعدد فيه بدقة يوم ابنتها • فالصباح مثلا مقسم على هذا النحو : ١ ـ القيام من السرير ، ٢ ـ النونية ، ٣ ـ الاغتسال ، وما الى ذلك • ومن حين الى حين خلال الصباح ، تقرع على باب ابنتها وتسأل : الى أين وصلت ؟ والمفترض أن تجيب الفتاة الصغيرة : وصلت الى ٩ (أو ١٥ ، أو الى أي كان) • وهكذا تحافظ الأم على الرقابة المحكمة على تنفيذ البرنامج اليومي . (Ibid., p. 12),

١٤- « يرغب هؤلاء الناس في اعطاء المال والهبات المماثلة للمال • ويقوم العديد منهم بدور المحسن أو الخيّر ، الا أن اللبيدو عندهم يظل بعيدا في كثير او قليل عن الأشياء ، ولذلك فان جهودهم في العمل هي في جوهرها غير انتاجية • وهم بالتأكيد لا تعوزهم المثابرة ـ وهي السمة المشتركة في الشخصية الشرجية ـ ولكنهم يستخدمونها بطرق غير انتاجية الى حد كبير ، ومن ذلك انهم يتشبثون بعناد بالأشكال القائمة بطريقة غير انتاجية • فاذا انتقلوا من الأسوأ الى الأسوأ ، فان اهتمامهم بالمضمون يؤدي بهم الى الاهتمام بالاجراء الشكلي الخالص » Ibid., p. 18 .

١٥- Ibid., p. 20 .

١٦- ان العديد من ملاحظات أبراهام هنا جديرة بالانتباه : فثمة أحوال تكون فيها العلاقة بين الاحتفاظ المتعمد بالغائط والاقتصاد النظامي واضحة كل الوضوح • وأنا أعرف معرفيا ثريا يلح على أبنائه أن يكبحوا تحركات أمعائهم أطول مدة ممكنة ، وذلك لكي يستفيدوا اكثر ما أمكنهم من الطعام الذي أكلوه •

وجدير بالملاحظة كذلك أن العديد من العصابيين يقيدون بخلهم الشديد بنماذج معينة من الانفاق ، ولكنهم متحررون من هذا التقييد على أموالهم في المجالات الأخرى • وثمة مرضى مثلا ، يرفضون أن ينفقوا المال في الأشياء « العابرة » • فالحفلة الموسيقية أو الرحلة تكلفان مالا، والمرء لا يجني ملكا دائما من هذا الانفاق • وأنا أعرف شخصا كان يتجنب الذهاب الى الأوبرا لهذا السبب ، ولكنه بطيب خاطر أنفق المال في أنغام الموسيقى المطبوعة على الصحائف مما لم يسمعه ؛ فالصحائف شيء دائم يستطيع أن يتمسك به • والعديد من هؤلاء العصابيين يقاومون انفاق المال من أجل الطعام لأنه يظل ملكية دائمة • وثمة نموذج آخر تتركز رغبتهم على انفاق المال في التغذية ، التي يظهرون نحوها اهتماما بالغا • وهؤلاء عميقو الاهتمام بالعناية بجسمهم، ووزنهم ، وما الى ذلك ، وهم يهتمون حقا بمعرفة كم مما يمتصون يبقى بوصفه ملكية مستمرة • وواضح أن هؤلاء الناس يساوون بين محتوى الجسم والمال •

وفي أحوال أخرى نجد موقف البخل الشديد من كل سبيل في عيشهم • وهذا ينتقل أحيانا الى الحدود القصوى حيث يقلقون على التوفيرات التافهة • وأنا أعلم رجلا تعود أن يجري حول الدار وبنطاله مفتوح ليصون عراه • ويمكن للمرء بسهولة أن يخمن الدوافع الأخرى ذات الأثر ، ولكن من خصائصها أنها بوسعها أن تخفي نفسها خلف نزعة الاقتصاد الشرجية •

ونجد في العديد من المرضى شكلا خاصا من هذا الاقتصاد: انهم شديدو التوفير في استخدامهم ورق الحمام • والعامل المحدّد المشترك هنا هو الخوف من تشويه الأشياء النظيفة (Ibid., p. 22-23) .

١٧- « ان العديد من العصابيين يقلقهم كثيرا تبديد الوقت • فالوقت الذي يمضي في العمل هو وحده الذي يبدو قد انقضى على نحو حسن • وأية اعاقة لهم في عملهم تغضبهم كثيرا • وهم يمقتون الدعة واللذة • وهؤلاء هم الناس الذين يصفهم فرنشزي بأنهم « عصابيو الأحد » • انهم لا يستطيعون أن يتحملوا أي عائق في عملهم • وكما في حالة

العديد من النزعات ذات الاندفاع العصابي ، فانهم كثيراما يقصرون عن بلوغ هدفهم • انهم ينفقون الزمن في الأشياء الصغيرة ، ويبددونه في الأشياء المهمة » (P. 23) .

١٨ـ ان هذا يثير مشكلة رئيسية هي مشكلة الحب ، التي لم يعالجها التحليل النفسي بحق •

١٩ـ انظر ملاحظات فرويد في Three Essays on the theory of Sexuality, Leipzig, 1923, p. 16, n.

٢٠ـ ادت المشكلة الملمح اليها هنا الى مسائل بحثها التحليل النفسي •
Wilhelm Reiche, « Der Genitale und der neurotische Charakter », Int Zeitschrift für Psychoanalyse (1929).

٢١ـ ان الفارق بين سمات الشخصية « الطبيعية » و « العصابية » مشروط بالعوامل الاجتماعية الى حد كبير • ولا يمكن ان يعالج الا بصلته بمجتمع معين : فاية بنيـة شخصيةغير متكيفة مع هذا المجتمع هي « مريضة » • فشخصية التاجر الراسمالي في القـرن التاسع عشر تبـدو « مريضة » بالنسبة الى المجتمع الاقطاعي ، والعكس بالعكس •

٢٢ـ Sombart, Der Bourgeois, Munich and Leipzig, p. 2

٢٣ـ انظر بوجه خاص : Sombart, Der Bourgeois, Munich 1913; Max Weber, Ges. Aufsäze zur Religionssoziologie, Tübingen. 1920, Vol. I; Tawney, Religion and the Rise of Capitalism, London, 1927; Brentano, Die Anfänge des modernen Kapitalismus, Munich, 1916; Troeltsch, Die Soziallehren Scholastik, Puritanismus und Kapitalismus, Munich and Leipzig, 1930
وكل من هذه المراجع يحتوي ببليوغرافيا موسعة للقارىء •

٢٤ـ Kraus. op. cit., p. 245 .

٢٥ـ Ibid .

٢٦ـ L. B. Alberti, I libri della famiglia, Florence, G. Mangini, 1908; اورده زومبارت

٢٧ـ اورده زومبارت Sombart, op. cit., pp. 142-143 .

٢٨ـ انظـر Kraus, op. cit., p. 259 .

٢٩ـ Benjamin Franklin, Autobiography .

٣٠ـ يعدد فرانكلين هذه الفضائل بوصفها أهم الفضائل : الاعتدال ، السكوت ، النظام ، التصميم ، الاقتصاد ، الكـد ، الاخلاص ، النزاهة ، ضبط النفس ، النظافة ، رباطـة الجاش ، الطهارة ، (واضاف أخيرا) التواضع • ومن المميز بما فيه الكفاية اننا لا نجد ذكرا لعمل الخير ، والحب ،والحنان •

٣١ـ Daniel Defo, Giving Alms No Charity, London. 1704, p. 426 .

٣٢ـ اورده زومبارت Sombart, op. cit., p. 234 .

٣٣ـ المثال الرائع على هذا « النظام » هو جدول فرانكلين اليومي الذي تشتمل عليه سيرته الذاتية • ان مطالب النظـام تقتضي ان لكل جزء من نشاطي زمانه ومكانه المناسبين • وعلى ذلك رتبت نموذج جدولي التالي لليوم بكامله :

الصبـاح الباكر	٥) النهوض ، الاغتسال ، الصلاة للألوهية ، التخطيط
ما الخير الذي عليّ أن أقوم به ؟	٦) ليومي وقيامي بالعمل ، الفطور ، الخ
	٧)
	٨)
	٩) العمـل
	١٠)
	١١)
الظهـــر	١٢) القراءة ، تفحص حساباتي ، وتناول الغداء
	١)
بعد الظهر	٢)
	٣) العمـل
	٤)
المســاء	٥)
ما الخـير الذي قمت به ؟	٦) ترتيب الأشياء ؛ تناول العشاء ؛ الموسيقى
	٧) الاسترخاء ، المحادثة ؛ مراجعة اليوم
	٨)
	٩)
	١٠)
الليـل	١١)
	١٢) النـــوم
	١)
	٢)
	٣)
	٤)

ووضع فرانكلين كذلك قائمة بفضائله الثلاث عشرة ،وأشار الى مخالفاته لها ، وهذا يجسد ايضا ذلك « النظام » الذي وصفه ابراهام اعلاه ٠

٣٤- أوضحت من قبل أنه سيكون ثمة فارق يسير نسبيا في الفرضية الرئيسية لهذا البحث اذا تحدث المرء بلغة نظرية اللبيدو عما اذا تحدث ، كما فعلت في السنوات الأخيرة، بلغة عواطف النشاط المتوجب ٠ وعند هذه النقطة اود أن أذكر أنني وجدت أن وصف الشخصية الشرجية الذي قدمه فرويد وآخرون غيره قد تدعم بالمعطيات السريرية القابلة للملاحظة ٠ وتنقيحي في كتاب « الانسان لنفسه » ،حيث استخدمت فيه مصطلح « الشخصية الادخارية » بدلا من الشخصية « الشرجية » ، لا ينصرف الا الى تفسير الأعراض المتزامنة ، التي أراها في موقف معين من الآخرين والأشياء ، وليس في أنها متجذرة في المنطقة المثيرة للشهوة الشرجية ٠ (انه لصحيح أن الغائط وما يساويه يلعبان دورا خاصا في الشخصية الادخارية ، ولكنهما يقومان بذلك بصفتهما تعبيرين رمزيين لا بصفتهما « سببين » ٠) ومصطلح « الشخصية الادخارية » من الممكن أن يستخدم في هذا البحث دون تغيير في تطبيقه على روح الرأسمالية ٠(١٩٧٠)

٣٥ـ ان تحليل الطبقة الوسطى الدنيا مهمة هامة كذلك لعلم النفس الاجتماعي • والدراسة التي تستحق الاهتمام الخاص هي الموقف الثوري الذي تتميز به هذه الطبقة • انـه يتضمن التمرد والاحترام للسلطة والتأديب الأبويين ، اللذين هما من خصائص الموقف انشرجي • والتمرد ليس موجهاالى السلطة الأبوية بحد ذاتها ، التي تظل فوق النقد رغـم كل شيء • وهذا الموقف الثنائي يحقق اشباعه بتقسيم الأشياء • والرغبة في السلطة تشق القناة للقائد القوي ، على حين أن عددا من الآباء المعينين يصبحون موضوعات للتمرد•

والفارق بين برجوازية الطبقة العليا وبرجوازيـة الطبقة الدنيا يبين بوضوح في التغاير بين النكات الشرجية عن صالة الجمعة في الطبقة الدنيا والنكات التناسلية عن قبـو الخمرة عند الطبقة العليا •

٣٦ـ المسـألة الهـامـة الأخـرى هي الى أي حد يمكننـا أن نتحدث عن تزايد سمات الشخصية التناسلية بين الطبقـة الوسطى العليا • انه سؤال تصعب الاجابة عنه ، وماذلك الا لأن « الشخصية التناسلية » لم تدرس دراسة وافيـة في علم النفس السريري والشخصي •

٣٧ـ ينبغي ان يكون واضحا أن تحليل سمات شخصية البروليتاريا شديد الأهمية لفهم نجاح الاشتراكية او اخفاقهـا في هذه الطبقة • وهنا سنقتصر على ملاحظة التغاير بـين الموقف الماركسي (الذي يضع كرامـة الانسان وحريته فـوق النشاط الاقتصادي ووراءه ، وينادي بحقه غير المشروط في السعادة والاشـباع ، وينتقـد التحويـل المادي للعلاقـات الانسانية في الرأسمالية) والسمات الشرجية للـروح البرجوازية التي تنظر الى الماركسية على أنها تسعى الـى المطالبة بالتقسيم المتساوي للمواريث الفردية •

وثمة مسألة اخرى وثيقة الارتباط بهذا سـوف نقتصر على ذكرها هنا • انها تتعلق بتراجع السلطة الأبوية على المستوى النفسي وانبثاق سمات التمركز حول الأم • فالأرض ، تصبح كريمة تمنح الأمومة لكل ابنائها • ويرتبط بهذا تحرر النساء على حين أن التأكيد على السلطـة الذكرية واخضاع النساء هو من خصائص فاشية الطبقة الوسطى الدنيا • والعلاقة بين الوطنية والبنية الأبوية للفاشيـة هي كذلك جزء من هذه الناحية الاشكالية •

٣٨ـ ان الاستخدام الزائف والسطحي للمقولات السيكولوجيـة قد مثله زومبارت • انه يقول في انسان ما قبل الرأسمالية : « هو انسان طبيعي ، انسان كما خلقه الله ••• وموقفه الاقتصادي ظاهر بوضوح ، وهو ناشيء عن طبيعته الانسانيـة نفسهـا » (Sombart op. cit., p. 11) .

والسطحية ذاتها موجودة في تحليله لنفسية المقاول الرأسمالي ، التي يدعي أنها نفسية الطفل :

وتمثل القيم الأساسية لهؤلاء الناس اختصار كل العمليات النفسية الى ابسـط عناصرها ••• النكوص الـى الحالة البسيطة للنفسية الطفلية • ودعوني أثبت ذلك • ان أربعا من مركبات القيمة الأولية تهيمن على حياة الطفل : ١ ـ الحجم المادي ؛ ٢ ـ الحركة السريعة ؛ ٣ ـ الجدة ؛ ٤ ـ الشعور بالقوة • وهذه القيم نفسها ، ووحدها على ما أعتقد ، هي كذلك أنظمة القيمة عند الانسان الحديث (Sombart op. cit., pp. 221 ff) .

★ ★ ★